القيم الروحية.. كلمة غامضة مبهمة

شاعت كلمة «القيم الروحية» على ألسنة الكتاب والخطباء فى الأيام الأخيرة.

وهى كلمة جدت فى الأدب العربى الحديث ولم نقرأها فى أساليب الأولين.

ولم نشعر عندما سمعناها لأول مرة بانكار لمدلولها المتبادر الى الأذهان.

إذ كانت - فيما فهمنا - تعنى التسامي بالنفس، والعناية بالخلق، والاعتراض على التفكير المادى، ورفض وجهته فى السلوك الخاص والعام.

وتلك جميعا معان مأنوسة مستطلقة، نقبلها نحن المسلمين، ونراها بعض تراثنا الدينى بلا ريب.

لكن الكلمة تكررت فى مواطن شتى، وأحاطت بها ملابسات مقصورة!

بل يمكن القول بأنها أضحت مصطلحا سياسيا له مفهومه وغايته عندما يطلق هنا وهناك..

والظاهر أن هذه الكلمة، كلمة القيم الروحية، تعنى مجموعة الأديان الأرضية والسماوية التى تعتنقها جماهير كثيفة من البشر، وتصبغ وجهتها فى الحياة بطابع غيبى بارز، وضروب من العبارات مقررة، وأنماط من السلوك يستمسك بها الأتباع ولا يحيدون عنها أبدا.

أى ان هذه القيم تشمل البوذية والهندوكية واليهودية والمسيحية والاسلام وكل ما يتقرر فى هذا الميدان التقليدى المأثور، ميدان الدين والمتدينين ومن إليهم.

وضم هذه النزعات كلها تحت عنوان القيم الروحية اختصار حسن، كما أن كلمة «المشروبات الروحية» تعنى جميع السوائل المسكرة مهما اختلفت الأسماء فى شتى الأقطار!!

وكلمة «القيم الروحية» بهذا المفهوم الجامع تستحق دراسة متمهلة كى نحدد منها موقفنا.

فإن طى الحق والباطل تحت عنوان واحد أمر نرفضه ابتداء!

ومن هنا فنحن نستبعد الأديان الأرضية من نطاق هذه القيم، ولا نعترف بدين إلا ما كان له أصل سماوى محترم.

أى أن الأديان فى نظرنا لا تعنى إلا الإسلام، فالنصرانية، فاليهودية.

أما الفلسفات الأخرى التى تحولت بين أيدى أتباعها الى دين فهى فى نظرنا ضروب من الوثنيات مبتوتة الصلة بالله الواحد، مصروفة بطبيعتها عن الاستمداد منه والاستعداد للقائه.

وقد تتعصب لهذه النحل ألوف مؤلفة من البشر، ليكن فلها ما تشاء.

لكن ليس لنا أن نسلك هذه المذاهب مع الأديان السماوية فى نظام واحد.

ثم إن الشرق الأوسط لا يعرف هذه المذاهب ولا أتباعها، ولذلك لن يضار أحد من إطلاق هذا العنوان المستحدث على الأديان السماوية وحدها - أعنى به كلمة القيم الروحية.

بقى أن نتساءل: ما السر فى ابتداع هذا العنوان ليشمل الأديان الثلاثة؟

والجواب لعله محو ما يشاع فى أوروبا من أن التدين والتعصب صنوان، وأن الخلاف الدينى يضر بالقضايا العامة للأوطان.

ونحن نكره ضيق الأفق، وانحراف العاطفة، اللذين يسيطران على بعض القاصرين ويسيئان الاساءة كلها إلى حقيقة الدين.

بيد أن ذلك الوهم لا مكان له فى حياتنا ولا فى تاريخنا.

ويمكننا أن نقول بقوة: إن التعصب الوطنى والعنصرى والدينى رذيلة تتنقل فى المجتمعات الأوروبية من قديم ولا تعرفها مجتمعاتنا العربية.

إنها هناك وباء مقيم، أما فى بلادنا فقد تبدو أعراض المرض على أفراد محصورين ثم يتلاشى الداء العارض كما تتلاشى غيمة دخان أمام رياح متجددة.

ومن ثم فان هذا العنوان لا يجتلب لهذا السبب، ونحن نرفض إنشاء مصطلحات سياسية جديدة للرد على تهم أنشأها لفيف من الكذبة.

هل هناك قصد آخر من وراء كلمة القيم الروحية؟

لعله منع استغلال طوائف الإقطاعيين والرأسماليين والكهان لفطرة الدين.

والجواب اننا نرفض كل استغلال للدين وانحراف به عن هدفه.

ومن الحق الذى لا يمكن جحده أن ثورات التحرر الكبرى فى بلادنا كانت دينية، وآخر هذه الثورات سنة ١٩١٩، فان ساحة الأزهر كانت مصدرها ووقودها، وكان رجال الدين المسيحى مع علماء المسلمين فى القيام عليها.

أما التحرر الاجتماعى، فان رواده الأوائل من المفكرين الاسلاميين.

ومعروف أن علماء الأزهر قاطبة من أبناء الفلاحين والعمال، وأنهم ما كانوا قط طبقة إقطاع فى هذه البلاد.

ومن ثم فإن هذه الشبهة مردودة كسابقتها، ولا نقبلها أساسا لفرض هذا المصطلح السياسى الجديد.

بقى شئ آخر هو أننا نحن المسلمين نرى فى وصف الاسلام بأنه قيمة روحية وحسب بخسا لحقيقته، وانتقاصا لتعاليمه، وانسياقا مع التفكير الاستعمارى فى هجر شرائعه، ودك شعائره، وإبعاده عن الحياة العامة.

اهو إتيان على الاسم بعد الاتيان على الجوهر.

ومن الإنصاف أن أذكر هنا تفسيرا للدكتور عبد العزيز كامل شرح فيه كلمة القيم الروحية شرحا حسنا.

فقد رد المعنى المراد الى قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [النحل: ٢].

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

وبهذا التفسير اعتبر كلمة القيم الروحية شاملة لتعاليم الاسلام كلها وأن المناداة بها تعنى رجع المسلمين أصول دينهم وفروعه.

ولا شك أن هذا تفسير ذكى، يوائم بين العنوان المجلوب والرغبة المنشودة، ولا اعتراض لنا عليه من هذه الجهة.

وإنما نعترض على كلمة القيم الروحية من ناحيتين أخريين!

أولاهما أن هذا التفسير الصحيح لا يدركه إلا الأقلون ولا تؤيده التصرفات الملابسة للنطق به.

والثانية أن عنوان ديننا معروف من عشرات القرون، هو الاسلام: ﴿ هُوَ

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

فلماذا نترك عنوان ديننا الأثير المقرر ونتوارى تحت عناوين غامضة وشارات مبهمة؟؟

إننا ننظر الى أتباع الأديان الأرضية والسماوية فى كل قارة فنرى كل واحد منهم يملأ فمه بالانتساب الى دينه والانضواء تحت لوائه.

واليهود الذين شاركوا فى تفجير الذرة لم يشعروا بغضاضة من إحياء اسم إسرائيل والمكابرة الوقحة ببناء دولة له.

فلم يتوارى اسم الاسلام وحده؟ ولماذا يطالب المسلمون وحدهم بالتخفى والاستخذاء؟؟

لقد قيل من زمان بعيد: إن الدين لا صلة له بالدولة.

ثم قيل لا صلة له بالاقتصاد.

ثم قيل لا صلة له بالقانون.

ثم قيل إن الأخلاق المدنية أهدى من الأخلاق الدينية.

ثم قيل إن العبادات وسيلة تزكية وليست مقصودة لذاتها.

وطبق هذا القول المنكر على الاسلام.

فماذا أصبح الاسلام بعد هذا البتر والتطويح؟

وعندما يطوى الاسم الذى اختاره الله لنا من خمسين قرنا فقال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ وتذكر بدله كلمة «قيم روحية» فعلام يدل هذا؟ الا يدل على تهرب وكراهية؟

كراهية للاسم بعد إضاعة المسمى!!

من أجل هذا المحذور أرجو إحياء الإسلام موضوعا وشكلا، وحقيقة واسما، فذلك أحق وأولى.

* * *

obeikandl.com

لم احتفلوا.. وماذا استفادوا؟؟

الحديث عن رسول الله حبيب الى كل قلب، فان صنائع معروفه طوقت أعناقنا، وثمرات جهاداه الشاق هى التى تحيى ضمائرنا وتمسك كياننا.

وإذا كان المثل السائر «من علمنى حرفا صرت له عبدا» فكيف بمن هيأ لنا الرشد فى الدنيا، والنجاة فى الأخرى؟

إن دينه فى رقابنا ضخم وجميله فى أفئدتنا مغروس.

ومع ذلك فقد كنت أقدم رجلا وأوخر أخرى عندما كنت أدعى الى أحفال المولد الشريف لأتحدث عن رسول الله ﷺ!!

كنت أشعر بأن هذه الأحفال صلة مفتعلة بين المسلمين ونبيهم، وأن الخطب التى تلقى فيها دعاوى حب لا يساندها دليل، ولا يؤيدها واقع.

كانت هناك مدائح للنبى منظومة ومنثورة، وشارات فرح بذكراه مطوية ومنشورة.. ولكن لم يكن هناك ما يدل على صدق الاتباع وحسن التأسى، بل لقد هرع إلى سرادقات الموالد بين المغرب والعشاء ناس لم يصلوا المغرب ولا العشاء!!

إن الأمر لا يعدو المشاركة فى تقليد مكرر مألوف.

وذكرت أبياتا للبوصيرى عن رسول الله ﷺ، فخيل إلى أن الرجل كان يعنى جماهيرنا عندما قال فى بردته:

فإن فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم!

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلو عنه بالحلم؟

نعم، كيف تدرك هذه الأفواج النائمة الهائمة حقيقة النبوة التى أيقظت العقل من سباته، وبدلت ليل العالم إلى نهار، وفكت أغلال الذل عن أجيال طالما عاشت فى الذل، وقضت أعمارها فى الهوان..؟؟

لقد كنت أوقن وأنا أنقل الخطوات هنا وهناك أن المسلمين لا يعرفون حقيقة النبوة، ولا يفقهون معنى الرسالة، ولا يدركون ما يجب عليهم بإزائها، إنهم - كما عبر البوصيرى - قوم نيام يتسلون عن الحقائق بالأحلام.

والنيام الذين يبدون فى صور الأيقاظ كثيرون...

واسمع الى أبى الطيب يصف فريقا منهم، وكأنه معنا فى هذا العصر، يصف المجتمع الاسلامى المعتل:

أرانب غير أنهمو ملوك   مفتحة عيونهم نيـــام!

بأجسام يحر القتل فيها   وما أسيافها إلا الطعام!

تأمل هذا الوصف لعبيد الشهوات، وصرعى الملذات، إنهم يظلون منكبين على دناياهم حتى يختنقوا داخلها كما يختنق دود القز بالإفرازات التى ينسجها.

والأمم التى تستسلم لدناياها على هذا النحو لا تصلح للحياة، ولا تنتصر على عدو بله أن تتصدر القافلة الانسانية وتخدم رسالة عالمية!!

وهذا الفريق من المخدرين فى مشاعرهم، المتبلدين فى أفكارهم، عبء على العقائد التى يعتنقها، إنه يشينها ولا يزينها، ويلقى عليها أوزاره بدل أن يدعها تغسل عنه أوضاره.

ومن حق كل ذى لب أن يسأل: هل المسلمون الذين يحتشدون ألوفا لتحية المولد النبوى منطقيون مع أنفسهم ومبادئهم؟

ما أظن الواقع ولا الخيال يجيبان بالإيجاب...

ان احتفالات المسلمين بميلاد نبيهم مع تركهم لأركان دينه، وصدهم عن سبيله، مرض نفسى واجتماعى يحتاج الى الدرس والشرح..!!

وقد لاحظت فى تجاربى مع الناس، أن البعض يكتفى فى إثبات ولائه لأهل الصدارة وأولى الأمر، بكلمات ملق يزورها، ومظاهر زلفى يجيدها..!

فإذا تقاضاه الولاء المزعوم موقفا صارما، أو مغرما ثقيلا، كان أول الفارين!

وكم فى الدنيا من أناس يخدعون الآخرين بهذا الأسلوب الميسور، يقتربون منهم ما دام الاقتراب رخيص الثمن سريع النفع، فاذا بهظ الثمن أو عز النفع لم تجد لهم أثرا!!

وقديما تطوع المنافقون بالاقتراب - البدنى - من رسول الله، وذكروا أنهم يؤمنون به!

ونزل الوحى الأعلى يقول: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [المنافقون: ١].

وشهادة الله على المنافقين بالكذب إنما جاءت بعد أن فضحت مواقفهم وسرائرهم، فما صدقوا فى جهاد فرض عليهم، ولا اطمأنوا لحكم صدر فى قضاياهم، ولا بادروا الى صلاة جامعة، ولا سارعوا الى نفقة مطلوبة.

إنهم مؤمنون عندما يكون الايمان كلاما، أما عندما يكون جدا وإقداما فللأمر وجه آخر!! : ﴿ **بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

وقد كثرت الأحفال الرسمية والشعبية بميلاد الرسول الكريم، أحياها مسلمو هذا العصر الذين هزمتهم شراذم اليهود، وأنزلت بهم خزيا ليس لسواده نظير فى تاريخ المسلمين أجمع.

فأى علاقة مفتراة بين أولئك المسلمين وبين نبيهم المجاهد الشجاع الصبور؟

إن العلاقة الوحيدة المقبولة بين المسلمين ونبيهم هى التأسى به، والسير تحت لوائه، والتزام سننه القويم، وصراطه المستقيم.

فمن فعل ذلك فهو أولى الناس به فى الدنيا والآخرة وإن لم يحيى لمولده ذكرى!

ومن شرد عن هذا الهدى، فقد انقطع بالرسول سببه، وإن أقام لمولده عشرات السرادقات.

فى أيامنا هذه التى نلتمس فيها أهل الفداء والنجدة، ليذودوا عن العقائد والحرمات، أرمق بالإجلال العميق الصحابى الذى يقول: أنه لا يبالى على أية صورة يموت!

سواء كسر رأسه، أم مزق صدره، أم شق بطنه، أم قصم ظهره، ان صور الهلاك كلها لا تقلقه.

إنه معنى بشئ واحد فقط، أن يموت وهو مسلم.

فإن اطمأن الى هذا المصير مات مستريحا على أى جنب وبأى جرح.

ورجاؤه فى الله أن يتقبل ذلك الفداء، وأن ينزل بركاته على أشلاء قطعت فى سبيله.

ولست أبالي حين أقتل مسلما   على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

هل تفرست في ملامح هذا الشهيد النبيل؟ هل تسمعت الى هذا النغم الموقن الجليل؟ أولئك هم الرجال الذين رباهم محمد وتعلموا منه كيف يحيون لله وكيف يموتون لله، وأولئك هم الرجال الذين دمروا معاقل الظلم، وتركوا اليهود وغير اليهود يولون الأدبار في أقطار الأرض.!

والاتصال الصحيح بمحمد إنما يكون بمعرفة ربه، وإحياء وحيه، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، وتوقير أحكامه، وتكوين الأجيال الجديدة على خلقه وعبادته وجهاده.

إن محمدا هو الكتاب الذى تلقاه وعاش به وله.

فما تكون حالنا إذا قال الرسول عنا: ﴿ **يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴾ [الفرقان: ٣٠].

لقد أحسست كربا شديدا وأنا أسمع قائد جيوش اليهود يقول: نحن نقاتل من أجل التوراة واليهودية وأرض الميعاد!! يقولها دون غموض ولا استحياء ولا توجس على حين تنطبق شفاه الزعماء العرب والمسلمين فلا يجرأون على إرسال مثل هذا التصريح فى الدفاع عن القرآن والاسلام والأمة الكبرى المحروبة تحت وطأة ألف هاجم من الشرق والغرب.

هل ذكر التوراة شرف وذكر القرآن جرم؟

هل يتبجح الناس بباطلهم ونتوارى نحن بحقنا؟

إن محمدا النبى الأمين هو أجدر إنسان فى العالم بأن يقتفى أثره ويشاد بتراثه، وإن كتاب محمد هو الوحى الصادق الذى تلتمس النجاة فى آياته، ويرتقب الخير من اتباعه، ويشرف الساسة بتلاوته وتدبره، والتنويه به، وجمع القلوب عليه.

إن ميلاد محمد ليس سوقا اقتصاديا لجر المنافع بالبيع والشراء، وليس استجلاء تاريخيا لبعض ما فى المتاحف من آثار وأخبار.

إن أمر محمد ودينه وأمته أعظم عند الله وعند الناس من هذه الأحفال الرخيصة دينية أو دنيوية.

وإذا لم نقرر بناء مجتمعنا على عقيدة محمد وشريعته فلا داعى للاحتفال بمولده، وإظهار ولاء مكذوب له.

وبقيت كلمة حاسمة تتصل بمستقبلنا مع اليهود، ولا نسأم من تكرارها.

إن الاعتقاد الدينى يشد زناد النشاط الانسانى شدا هائلا، ومن ثم يخرج العمل وكأنه قذيفة لا يقفها دون مداها شئ.

فإذا قرر اليهود أن يعلنوا علينا حربا دينية، وأبينا نحن إلا أن نجعل الدين مظاهر لا تعمر قلبا، ولا تصوغ خلقا، ولا تسوى صفا ولا تحكم معاملة، ولا تصنع مثلا أعلى فالويل لنا فى القريب والبعيد.

إن السياط الموجعة إذا لم تفلح فى إعادة الرشد إلى الزائغين فستتبعها قوارع فاجعة، وهزائم فاضحة.

فهل يؤمن قومنا ويعودون إلى الله، أم تمضى فيهم سنة الأولين أولئك الذين لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم؟؟

* * *

obeikandi.com

أجيال النصر وأجيال الهزيمة

ليس الانتصار والانكسار حظوظا عمياء تصيب الأمم وهى غير مستحقة لها، أو تفجؤها على غير توقع منها، أو تلتوى بمسيرها فتقهرها على وجهة كانت تؤثر سواها.

كلا فإن الأمور تتدافع الى نهايتها وفق سنن كونية دقيقة.

وخواتيم الصراع بين الأمم لا تقع خبط عشواء، ولا تكيلها الأقدار جزافا، بل تجئ وفق مقدمات منتظمة، كما تجئ النتائج بعد استكمال الأسباب..!!

وربما كان ما يصيب الأفراد أحيانا من نوازل مبهمة سببا فى عد المصائب جملة أقدارا قاهرة.

وربما كان ذلك ما جعل المتنبى يقول:

ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما   فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

وهذا الكلام من نزوات الشعراء، ومما قد يتسلى به الغافلون عندما تؤدبهم السماء.

والحق أنى عندما أتأمل فى هزائمنا المتلاحقة أمام اليهود خلال العشرين سنة الأخيرة أشعر بأن الغزو الثقافى قد حقق مراده وفق ما يشتهى.

وأن ما غرسه فى بلادنا قد أتى ثماره المرة كلها.

وأن جهوده الماكرة فى ميادين التعليم والاعلام منذ استعمر الأراضى والعقول لم تضع سدى!!

من عشرات السنين والأجيال الجديدة تذاد عن القرآن الكريم ذودا، وتجهل فى آياته تجهيلا.

من عشرات السنين والتاريخ الاسلامى تعكر منابعه، وتقلل حصصه، ويلحق تارة بالتاريخ القومى، وتارة بالتاريخ الأجنبى، حتى لا يحسب محمد وصحبه آباءنا الروحيين والفكريين..!!

obeikandi.com

من عشرات السنين وعلوم العقيدة والفقه والتربية والأدب تطارد من التعليم العام لتكون بضاعة بعض الأزهريين المغموصين.

وأخيرا تزوى البضاعة وحملتها فى ركن بعيد عن الأضواء لتتلاشى على مر الأيام.

من عشرات السنين والأوضاع المقلوبة التى تشبه عوامل التعرية تنحت مقوماتنا من الايمان والصلاة والتقوى، وتطلق أسراب الديدان لتلتهم كل نبت يبدو للشرف والوفاء والحياء.

فلما التقى الجمعان فى سيناء وغير سيناء وقع ما كان الاستعمار يمهد له من قديم، ويسوق الأمور إليه بتؤدة وصبر!!

إن كل القوى الناقمة على الاسلام اختبأت وراء الاستعمار الحديث لتنال منه بشتى الأساليب، فإذا احتاج الأمر إلى المكر لانت، وإذا احتاج الأمر الى القسوة بطشت.

وهى فى لينها تدس السموم، وفى شدتها تحترف الهمجية والجبروت، وفى كلتا الحالتين لا تنام عن غايتها أبدا.

إنها تريد بناء مجتمعات منسلخة عن الاسلام، مرتدة عن هديه فى البيت والشارع والمدرسة والمحكمة وسائر مناحى الحياة العامة.

وقد وصل الغزو الثقافى إلى غايته المنشودة، وانعكس ذلك كله على معاركنا مع بنى اسرائيل.

ذلك أن المعارك يربحها طلاب التضحية من أصحاب العقائد، ولا يربحها عباد الشهوات من أبناء الدنيا.

وينبغى أن أجيب هنا عن شبهة روجها القاصرون...

إن العلم سلاح عظيم فى إحراز النصر، هذه حقيقة لا يحتاج كشفها إلى عبقرية، ولا يمارى فيها إلا مجنون.

وبناء الدولة على العلم هو وظيفة كل حكم راشد، خصوصا العلم التجريبى والتطبيقى.

لكن العلم أداة تستخدم لنصرة من يمتلكها.

والجبهات المتصارعة فى العالم اليوم تتنافس فى تحصيل العلم وتعرف أسراره وتكثير رجاله.

الشرق الشيوعى والغرب الصليبى كلاهما يتوسل بالتفوق العلمى لدعم موقفه ومد سلطانه.

فالعلم هنا أو هناك وسيلة لانجاح المعتقد أو تغليب المذهب.

فكيف يجئ فى هذه الأيام العجاف من يريد تزهيدنا فى العقيدة باسم الحاجة الى العلم؟

وفى أى بلاد يقال هذا الكلام؟ فى بلاد الاسلام الذى احتفى بالعلم من أول آية نزلت فيه!.

لقد لاحظت أن ضعف العقيدة خلق فى بلادنا صنفين من المتعلمين كلاهما لا خير فيه.

الأول: صنف يكتفى من العلم بقشوره، أو إجازاته الرسمية فهو لا ينفذ إلى لبابه، ولا يستفيد أو يفيد من حقائقه.

والآخر: صنف اغتر بالقدر الذى أحرزه، ويريد أن يحيا به ملكا غير متوج، وكأنه تعلم ليستكبر ويطغى.!

والصنفان يكثران حيث يضعف الايمان، وتهى الأخلاق، وتفحش الأثرة.

وأصحاب العقائد حين يقبلون على العلم يجودون فيه، لأن طلب الكمال غايتهم، ولأن العلم وسيلة رائعة - كما شرحنا - لإعزاز مبادئهم وقومهم.

وفى فراغ الجو من الايمان الباعث على الحركة، وجدنا ناسا ثرثرتهم أكثر من إنتاجهم! ودعاواهم أكثر من حقائقهم! وشهواتهم أملك لأزمتهم! مع أنهم تخرجوا من شتى الجامعات المدنية أو العسكرية.

ماذا أرى الآن بعد الهزائم المخزية التى نكست رءوسنا؟

أقواما يضحكون ولا يبكون! ينطلقون الى القهوات والأندية ليسمروا ويعبثوا، أو الى الشواطئ ليلهوا ويلعبوا!!

كان ينبغى أن تكون هذه الجباه مقطبة لكنها مبسوطة!

obeikandi.com

كان ينبغي أن تكون هذه الشفاه مزمومة لكنها منفرجة!

وماذا أقرأ الآن؟ خليطا هائلا من الأخبار والبحوث كأنما حشدها امرؤ يريد أن يسرق عقلي حتى لا أفكر! وأن يسرق ضميري حتى لا يستيقظ! وأن يملأ آذاني بطنين مزعج من الأحداث المفتعلة حتى يختفي صوت المعركة القائمة.

فاذا فرض الواقع الأسيف نفسه سمعت من يرجع الهزيمة الى ألف سبب غير سببها الحقيقي! ومن يلتمس لها ألف دواء الا دواءها الصحيح.

ويستحيل أن يتكون جيل النصر في هذا الجو الأغبر.

لقد اجتهد الاستعمار خلال قرن من الزمان أن يعودنا ترك الصلوات وحب الشهوات.

فلماذا لا يتصدر الرؤساء والوزراء والمحافظون صفوف المصلين ويحرصوا على مرضاة الله؟

ولماذا لا تحل المشكلات، «الجنسية» بالاستعفاف وتيسير الزواج بدل إشاعة التبرج وتوطيد أركان الفحشاء؟

ولقد استمعنا الى خصومنا يغالون بوصايا الأنبياء، ويتمسكون بتعاليم كتبهم، ويصرح وزير حربية اسرائيل دون خجل ولا وجل بأنه يحارب من أجل التوراة واليهودية وأرض الميعاد كما روت ذلك الصحف.

على حين يخجل رؤساء العرب ويوجلون من الانتساب الى القرآن والتشبث بآياته، لأن الغزو الثقافي أمات علاقاتهم بالدين والنبي والصحابة والتابعين!!

لو كان العرب مجموعات من الدراويش الطيبين هزمهم التخلف العلمي الشائن لقلنا: إن التنويه بالعلم فريضة، وهذا التنويه لا يتطلب عبقرية في المناداة به.

إن محمد علي الأمي وابنه ابراهيم استكملا هذا النقص واستطاعا بالجيش المصري أن يكسبا معارك عظيمة في القارات الثلاث.

إن جيشنا من خيرة جيوش الأرض عندما يرزق القيادة الصالحة.

لكن العرب هزمتهم أزمة الايمان فى قلوبهم، والقحط الرهيب فى المثل والأخلاق.

لقد فتكت بهم فوضاهم الداخلية قبل أن تفتك بهم سيوف الأعداء.

وهذا المصير الحقير هو ما خطط له الاستعمار الفكرى الضائق بالقرآن والرسول ومنهج الاسلام كله منذ ظهر الاسلام.

إنه صنع أجيال، فيجب علينا نحن أن نصنع أجيال النصر..!

وأجيال النصر لا يصنعها قوم انحلوا عن دينهم! وتنكروا لتاريخهم..!

إن الأيدى المتوضئة لا الأيدى الملوثة هى التى تصنع هذه الأجيال ...

* * *

obeikandl.com